بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنه قد ارتبط في أذهان كثير من الطلاب أن العقيدة علم جامد، صعب، نظري بحت، لا يلامس الإيمان، ولا يُغذي الروح، وأنه مليء بأسماء الفرق والطوائف والخلافات التي إنما تهم المتخصصين أو طلاب العلم المتقدمين، بينما كانت العقيدة التي تلقاها الصحابة عن النبي ﷺ سهلة، واضحة، متينة، راسخة، عذبة، شفافة، وهي علىٰ سهولتها ووضوحها: فاعلة حيّة شمولية تملأ الروح وتغذيها، وتخاطب العقل وتُنمّيه، وتؤثر علىٰ السلوك والعمل ولا تبقىٰ حبيسة الأذهان، حتىٰ جعلَتْ نفوسهم كالجبال ثباتا، وكالشمس ضياء، وكالسهم سدادا.

وتشتد الحاجة -اليوم- إلىٰ تثبيت العقيدة الإسلامية الصافية الواضحة في نفوس الجيل الصاعد، وغرس قواعد الإسلام الكبرىٰ وأصوله في عقولهم وقلوبهم؛ لما لا يخفىٰ علىٰ أحد من واقع التحديات الهائلة التي تهدد إيمانهم وأفكارهم، والشبهات التي تنبعث لهم من كل مكان، والشهوات والفتن الداعية إلىٰ الانحلال والانحطاط.

ونحن إذا اعتنينا ببناء العلم الصحيح المبرهن -وخاصة أصول العقيدة- فإن هذا بحد ذاته يزاحم التصورات والأفكار الفاسدة ولو لم يتم الرد علىٰ جميع تفاصيلها، فإن الحق التام يُزهِق الباطل، والصواب يقضي علىٰ الخطأ، وإذا ثبتت عَظَمة الإسلام ومتانة عقيدته لدىٰ الشاب فإن من الصعب أن تؤثر عليه شبهة جزئية، أو أن تقضي علىٰ إيمانه فكرة باطلة، أو نزوة عابرة.

هذا؛ وقد كان من أجمل ما جمعني من مجالس العلم مع أحبتي -طلاب الجيل الصاعد-: دروس «البناء العقدي» والتي تناولتُ فيها مبادئ العقيدة الإسلامية، بطريقة سهلة واضحة مبرهنة، لتثبيت الإيمان، وتوضيح قواعده، ولبناء سور واقٍ من الشبهات والانحرافات الفكرية؛ وقد كان لها بفضل الله تعالىٰ أثر حسن وتفاعل مثمر[1].

---

(١) قام أحد الأساتذة الأفاضل بتدريس المادة لطلابه في الجامعة في مادة الثقافة الإسلامية، وأخبرني عن مدىٰ الاستفادة والأهمية التي لمسها، ويؤكد علىٰ أهميتها لعمر طلاب الجامعة. ومما علق في ذهني مما هو مرتبط بالمادة =

فعزمت علىٰ كتابة المادة وتحريرها وتنسيقها، وأضفت إليها موضوعات جديدة، وفوائد كثيرة، لم أطرحها في الدروس حتىٰ خرجت بهذا الشكل في هذا الكتاب الذي أسأل الله أن يجعله مباركا ونافعا، وأن يتقبله منّي.

وهذا الكتاب يأتي ضمن سلسلة كتب بنائية منهجية موجهة إلىٰ الجيل الصاعد: صدر منها كتابان، وهما: (إلىٰ الجيل الصاعد) و(التفكير الناقد للجيل الصاعد) والسلسلة مستمرة بإذن الله تعالىٰ، والمرجو أن تغطي احتياجا لدىٰ المراكز والحلقات والمعاهد المعتنية بفتيان الجيل الصاعد وفتياته.

مع التنبيه إلىٰ أن هذه المادة وإن كانت قد جُعلت ضمن سلسلة الجيل الصاعد إلاّ أنها تصلح لمن فوقهم كذلك، وأرجو ألا تحول هذه التسمية دون الاستفادة منها لمن تجاوزوا مرحلة الجيل الصاعد.

= أن فتيين عراقيين وهما: حذيفة وعز الدين، وهما من طلاب الجيل الصاعد المميزين -حفظهما الله وثبتهما وأحسن نباتهما- كانت والدتهما قد درّسَتْهُما المادة كاملة (عبر المقاطع المرئية) بعناية بالغة، فسألتُهما عن المادة وطلبت من أحدهما أن يقوم بعرضها وتلخيص بعض أفكارها -عمره ١٢ سنة- فوجدتُ استحضارًا وحُسن استفادة وتصورٍ لأبواب العقيدة بفضل الله تعالىٰ

هذا وقد قسمت الكتاب إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مقدمات عقدية منهجية مهمة.

القسم الثاني: أركان الإيمان وركائزه.

القسم الثالث: ما يضاد الإيمان ويناقضه.

وأسأل الله سبحانه أن يبارك في هذه المادة وينفع بها قارئها ومدرّسها وكاتبها إنه سميع قريب.

القسم الأول

مقدمات عقدية منهجية مهمة

أهمية العقيدة وقيمتها
وميزات عقيدتنا الإسلامية

معنىٰ العقيدة:

كلمة العقيدة في أساسها اللغوي تدل علىٰ معنىٰ الشد والتوثيق والعقد والإلزام، ولذلك قالوا فيها إنها الحكم الذي لا يَقبَل الشك فيه لدىٰ معتقده، وأن كل ما عقد الإنسان قلبه عليه فهو عقيدة.

وبناء علىٰ ذلك فيمكننا أن نُعرّف **العقيدة الإسلامية** بأنها: الإيمان الجازم المؤكّد -الذي لا يدخله الشك ولا الريب- بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما أخبر الله ورسوله عنه من تحليل الحلال وتحريم الحرام وأمور الغيب وأصول الإسلام.

فالإيمان بالجنة والنار من العقيدة «وهو من الإيمان باليوم الآخر»

والإيمان بنبوة نوح عليه السلام من العقيدة «وهو من الإيمان بالرسل»

والإيمان بأن جبريل نزل علىٰ محمد ﷺ بالوحي، من العقيدة أيضًا «وهو من الإيمان بالملائكة»

- **ما الذي يميز العقيدة الإسلامية عن بقية العقائد؟**

إذا كان لدىٰ اليهود والنصارىٰ وغيرهم عقيدة، فما الفرق بين عقائدهم وبين وبين عقيدة أهل الإسلام؟

ولماذا نحن أولىٰ بالحق والصواب منهم؟

هل لأننا ولدنا في بيئة مسلمة فحسب؟!

أم لأن لدينا من الدلائل والبراهين والحجج التي تثبت صحة عقيدتنا مما لا يمتلكونه هم لعقيدتهم؟

الجواب -وبلا شك ولا ريب- هو: لأننا نمتلك من الدلائل والبراهين والحجج التي تثبت صحة عقيدتنا مما لا يمتلكونه هم لعقيدتهم.

حسنًا .. فلنذكر -إذًا- شيئا من **الفروق التفصيلية** التي تبين تميّز عقيدتنا وصحتها علىٰ بقية العقائد.

■ **الفرق الأول: امتلاك الأدلة الواضحة علىٰ صحة (أصول العقيدة):**

إن الأدلة التي يستدل بها المسلمون لإثبات أن الإسلام صحيح لا تقارن أبدًا بالأدلة التي يستدل بها اليهود أو النصارىٰ علىٰ صحة أديانهم، وإن من أعظم ما يفتخر به المسلمون أنه بإمكانهم إثبات الدليل علىٰ صحة كل أصل من أصول اعتقادهم دون أن يستطيع الآخرون ذلك، فعلىٰ سبيل المثال:

نحن نعلم أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام، وأن الإنجيل هو كتاب النصارىٰ، وأن التوراة هي كتاب اليهود، فالذي يميز كتابنا (القرآن) عن سائر الكتب السماوية الأخرىٰ هو أن إثبات نسبته «كاملا بكل سوره وآياته» إلىٰ محمد ﷺ تم عن طريق التواتر المتصل، أي أنه نُقل ليس عن طريق واحد عن واحد عن واحد، بل عن جماعات كثيرة عن جماعات كثيرة عن مثلهم، بسند متصل إلىٰ النبي ﷺ.

بينما لا تمتلك الديانات الأخرىٰ هذه الوسيلة لإثبات نسبة كتبهم إلىٰ أنبيائهم، بل يوجد انقطاع كبير في الإسناد والاتصال، ومن أراد الاستزادة في هذا الباب فيمكنه الرجوع إلىٰ كتاب متخصص في مخطوطات كتب النصارىٰ وهو كتاب «استعادة النص الأصلي للعهد الجديد» للدكتور سامي عامري[١]، ويمكن

(١) الكتاب علمي متخصص يفيد من يمكنه قراءة الكتب العلمية المتقدمة وليس المبتدئ

كذلك متابعة الدكتور منقذ السقار الذي يذكر دائما في محاضراته الدلائل الكثيرة علىٰ عدم صحة كتب الأديان الأخرىٰ.

ثم بعد ذلك نحن نمتلك الأدلة الواضحة علىٰ أن القرآن لم يأت به النبي ﷺ من عنده، وإنما أتىٰ به من عند الله تعالىٰ بواسطة جبريل، وسيأتي التفصيل في ذلك في ثنايا هذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.

فهذا هو الفرق الأول وهو امتلاك الدلائل علىٰ صحة أصول الإسلام.

■ **الفرق الثاني: البرهان الذاتي «أي: مضمون القرآن ودلالته علىٰ صحة الإسلام» بعكس الكتب الأخرىٰ:**

كَتَب الدكتور محمد عبد الله دراز كتابًا في غاية الروعة والجمال، عنوانه (النبأ العظيم) وهدفه أن يشرح لماذا القرآن كلام الله وليس كلام البشر؟ وما الدليل علىٰ أنه لا يمكن أن يكون بشر قد أتىٰ به؟بطبيعة الحال قد ذكر أدلة كثيرة جدًا متعلقة بشخص النبي ﷺ، وأنه لا يمكن أن يكذب، وهو كلام جميل أدعوكم جميعا للرجوع إليه، ولكن الذي يعنينا في هذه النقطة أنه استدل علىٰ صحة القرآن من مضمونه، بغضّ النظر عن الدلائل الأخرىٰ التي تثبت صدق النبي ﷺ، ومما قال في ذلك: «هذا الكتاب الكريم يأبىٰ بطبيعته أن يكون من صنع البشر، وينادي بلسان حاله أنه رسالة القضاء والقدر، حتىٰ إنه لو وجد ملقًى في

صحراء لأيقن الناظر فيه أن ليس من هذه الأرض منبعه ومنبته، وإنما كان من أفق السماء مطلعه ومهبطه»[1]. ثم أخذ يفصّل الأدلة التي نستدل بها من بلاغة القرآن علىٰ أنه خارج قدرة البشر، وحين تقرأ له يقشعر جلدك من الدلائل والبينات والبراهين.

وإذا كان الدكتور دراز قد ركز علىٰ الجانب البلاغي، فإن دلالة القرآن من جهة مضمونه علىٰ أنه ربّاني المصدر كثيرة ليست منحصرة في الجانب البلاغي، بينما إذا اطّلعتَ علىٰ مضامين كتب الديانات الأخرىٰ فستجد أشياء غريبة مستنكرة تدل علىٰ أن هناك تحريفًا طال شيئا منها، مع العلم بأننا نؤمن أن الله أنزل التوراة علىٰ موسىٰ والإنجيل علىٰ عيسىٰ عليهما السلام ولكننا نعتقد كذلك بأنهما قد حُرّفا، والأدلة علىٰ تحريفهما كثيرة جدا، وقد استدل علماء المسلمين قديمًا علىٰ تحريف كتب اليهود والنصارىٰ من خلال دراسة النص نفسه وإثبات الإشكالات الموجودة فيه، سواء من جهة سوء الحديث عن الله تعالىٰ أو من جهة الطعن في أنبيائه وتشويههم أو من جهة الأخطاء التاريخية، وغير ذلك، ومن أبرز العلماء المتقدمين الذين تناولوا هذا الموضوع: الإمام ابن حزم رحمه الله تعالىٰ في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وقد كتب الشيخ رحمة الله الهندي كتابا كبيرا في ذلك سماه (إظهار الحق) وهو كنز كبير في الرد علىٰ النصارىٰ، وربما

(١) النبأ العظيم. ص١٠٦

لا يعلم الكثير من القراء أن الشيخ أحمد ديدات سلك طريقه في محاورة النصارىٰ بعد أن قرأ كتاب إظهار الحق للهندي عليه رحمة الله.

ومن الكتب المعاصرة في ذلك، كتاب: «هل العهد الجديد كلمة الله؟» للدكتور منقذ السقار.

مثال علىٰ التناقض: هناك موضعان في الكتاب المقدس -الذي يجمع التوراة والإنجيل- يتكلمان عن رجل واحد -واسمه (أَخَزْيَا)- بمعلومتين مختلفتين متناقضتين؛ الموضع الأول فيه: أن عمر هذا الرجل اثنتان وعشرون سنة»[(١)]، والموضع الثاني عن نفس الرجل وعلىٰ نفس الحدث، وفيه أن «عمره اثنتان وأربعون سنة»[(٢)] وهذا تناقض غير محتمل، ومن أشهر الأقوال عند النصارىٰ في حل هذه المشكلة هو أن الناسخ أخطأ وهو يكتب في أحد الموضعين، هكذا بكل بساطة! أنا لا أتحدث عن طبعة معينة فيها هذا الخطأ، وإنما في الأصل.

تخيل أن يحصل عندنا مثله في القرآن فنقول: الصحابة وهم يكتبون المصحف غلطوا في كتابة الآية الأولىٰ ولم يكتبوها بشكل صحيح! هل ستثق في القرآن؟!

---

(١) سفر الملوك الثاني(٨: ٢٦) «وَكَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي مَلِكِ إِسْرَائِيلَ»

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني (٢٢: ٢) «كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي».

■ **الفرق الثالث: وضوح العقيدة وموافقتها للعقل والفطرة:**

حين يؤمن النصراني بأن الله ثلاثة وواحد في نفس الوقت! فإن هذا أمر لا يمكن تصديقه إلا بإكراه العقل علىٰ قبول المستحيل! وحين يقول اليهودي إن الله واحد ولكن صفاته منافية للألوهية كما نجد في كتابهم أن الله تعالىٰ أخذ يبحث عن آدم عليه السلام بعد أن اختبأ في الجنة حين أكل من الشجرة!! وينادي عليه أين أنت يا آدم![1] - تعالىٰ الله عن ذلك- فإن هذا يدل كذلك علىٰ تحريف كتابهم.

ولكن .. حين تسأل عن صفات الله في القرآن فستجد الشفاء والعظمة والكمال، تجد الوضوح والبهاء والجمال، اقرأ معي:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

وهذه من سمات العقيدة الإسلامية وخصائصها؛ أنها عقيدة واضحة فطرية تجعلك تعظم هذا الدين وتطمئن إليه، وقد ذكرتُ في كتابي (محاسن الإسلام) شيئا يخص هذا الموضوع، قلتُ فيه: «لا يوجد تراثٌ لأمةٍ من الأمم المتديّنة فيه تعظيمٌ للإله

---

(١) سِفْر التكوين (٣: ٩)

الخالق سبحانه وتنزيهٌ له عن النقائص وعمّا لا ينبغي أن يكون عليه، كما يوجد في القرآن الكريم وفيما صحّ عن النبي محمد ﷺ من الأحاديث.

ولذلك فإن **الإسلام قد تميَّزَ علىٰ سائر الديانات بوضوح العقيدة في (الإله)** من جهة الكمالات المتعلقة به، ولذا فإن العقل لا يجد تكلفًا في قبول الاعتقاد الإسلامي في الله سبحانه، بخلاف الخرافات والأساطير الموجودة في تصوّرات كثيرٍ من البشر تُجاه الإله، وهذه القضية من أظهر القضايا في دين الإسلام، والاستدلال عليها لا يحتاج إلىٰ كبير عناء، فالقرآن من أوله إلىٰ آخره تمجيدٌ وتعظيمٌ وتنزيهٌ لله ﷻ، والسورة التي أخبر النبيّ ﷺ أنها أعظمُ سورةٍ في القرآن هي السورة التي تبدأ بحمد الله والاعتراف بأنه رب العالمين، وأنه مالك يوم الدين، وتبيّن العلاقة بين المخلوق وبين الخالق بالتعظيم الذي ينبغي للخالق، بأنه لا يُعبد إلا هو، ولا يُستعان إلا به، فهذه أعظم سورة.

وكذلك أعظم آية في القرآن، كلُّها متعلقةٌ بالإله من أولها إلىٰ آخرها، وهي آية الكرسي، ولا يوجد عندَ أمّةٍ من الأمم المتديّنة تعظيمٌ للإله بمثل ما في آية الكرسي.

ثم إنه قد صح عن النبي ﷺ: أن في القرآن سورة تعدل ثلث القرآن، وهي سورة الإخلاص، وإذا تأمّلتَ فيها وجدت أن جميع السورة إنما هي تعظيمٌ وتنزيهٌ لله ﷻ.

بينما إذا نظرتَ فيما جاء عن الخالق في سائر الأديان فلن تحتاج إلىٰ كبير جهد لتدرك الفارق بين الإسلام وبين غيره، بل إن المقارنةَ بين الإسلام وغيره في هذا الباب ظالمةٌ» انتهىٰ[١].

وأما الإلحاد فهو أولىٰ بالخطأ والتناقض والإشكال ومناقضة الفطرة من الأديان الأخرىٰ، وهل يوجد عاقل يصدق أنّ عقله وُجد بدون خالق؟ فضلًا عن بقية أجزاء جسده، فضلا عن روحه ومشاعره، فضلا عن خلاياه وجيناته، فضلا عن بصمته وبنانه، فضلا عن بقية البشر والكائنات، فضلا عن السماوات والمجرات والنجوم ... الخ. فالإلحاد في الحقيقة ضرب من الجنون والانتحار العقلي.

---

(١) محاسن الإسلام (٣١-٣٢)

ما الفائدة المترتبة على وجود العقيدة الصحيحة الثابتة؟

هذا السؤال مهم جدًا، ولا بد أن نفهمه جيدًا حتىٰ ندرك نعمة الإسلام، وحتىٰ نفهم أن بأيدينا شيء عظيم فنحرص علىٰ الاستمساك به، وإذا كان هناك من يقرأ هذا الكلام من المشرفين التربويين أو المعلمين أو الآباء فليُدركوا جيدًا أن غرس محاسن العقيدة الإسلامية، وبيان محاسن الإسلام بشكل عام = من أهم ما يُمكن أن يُقدّم لهذا الجيل، وهو أولىٰ من المعلومات التفصيلية، فإذا اجتمع مع بيان المحاسن توضيح الأصول العقدية وتثبيتها فهنا نكون قد بنينا الأسوار الوقائية للجيل علىٰ خير ما يُمكن أن تُبنىٰ بإذنه تعالىٰ.

أولًا: سعادة العبودية لله:

إن أول شيء يُبدأ به في محاسن العقيدة الإسلامية أنها تجعل صاحبها يعيش سعادة العبودية لله تعالىٰ، فإن أجمل شيء

في هذا الوجود هو تذوق لذة التعبد لخالق كل شيء، وهذه اللذة لا تشبهها لذة أخرىٰ أبدًا، لا لذة المال ولا لذة المُلك ولا لذة الشهوات عموما، ولذلك قال من قال من عُبّاد المسلمين: (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف) يقصد ما هم فيه من لذة التعرف علىٰ الله والتعبد له، كما قال ابن القيم: (فإنه لا نعيم له ولا لذة، ولا ابتهاج، ولا كمال، إلا بمعرفة الله ومحبته، والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلىٰ لقائه، فهذه جنته العاجلة، كما أنه لا نعيم له في الآخرة، ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة، فله جنتان لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخل الأولىٰ. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. وقال بعض العارفين: إنه ليمر بالقلب أوقات، أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب. وقال بعض المحبين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلىٰ لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه أو نحو هذا من الكلام، وكل من له قلب حي يشهد هذا ويعرفه ذوقا)[1].

(١) مدارج السالكين (٢٣٩-٤٠) ط: طيبة.

ثانيًا: الصبر علىٰ مصائب الدنيا وكوارثها ومصاعبها:

حين تكون حدود الإنسان ضيقة؛ كأن يكون كل هدفه في الحياة اكتساب المال أو البقاء مع حبيب، فإنه إذا أصيب بمصيبة متعلقة بالمال أو الحبيب فإنه سيفقد كل شيء، لأن حدوده متعلقة بأشياء محدودة صغيرة قريبة، فما الذي سيصبره؟ وما الأمل الباقي لديه؟

ولكن حين تكون حدوده عالية سماوية تتطلع إلىٰ عرش الرحمن ومصاحبة الرسول ﷺ في الجنة فإن تأثير المصائب الدنيوية عليه -مهما كان مؤلمًا- فسيبقىٰ محدودًا؛ لأنه لم يفقد كل شيء، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١] أي أن الذي يكون عنده إيمان وتوكل وعقيدة فإن الله يهدي قلبه للرضا حين تصيبه المصيبة.

ثالثًا: معرفة النفس والخالق والغاية:

أي أن يعرف الإنسان من هو؟ ومن خالقه؟ ولماذا هو موجود؟ وإلىٰ أين المصير؟

وهذه الأسئلة علىٰ أنها بديهية سهلة إلا أنها من أصعب الأسئلة علىٰ من لا يمتلك العقيدة، كالملحد مثلا .. فهو لا يدري من هو؟ نعم يعرف أنه إنسان وأن اسمه كذا، ولكن ما الذي يميز الإنسان؟ لماذا يختلف عن بقية الكائنات بالإرادة الحرة

وبالعقل؟ لماذا الإنسان يستطيع الاستفادة مما في الأرض والجو؟ لماذا الحيوانات مسخّرة له؟ لماذا ولماذا؟ لا يستطيع الجواب بأكثر من أن الإنسان مكون من مجموعة من الخلايا -لطخة كيميائية- موجود في طرف الكون في كوكب بئيس وهو جزء من الحيوانات ولكنه تطوّر عنها وصار أرقىٰ منها قليلا!

حسنا . . ولماذا هو موجود؟ وإلىٰ أين سينتهي؟ وما الذي ينتظره بعد الموت؟ كل هذا في ظل الإلحاد لا يمكن الجواب عنه ولا الاهتداء إلىٰ شيء يطمئن النفس فيه، بينما بالعقيدة تستطيع الجواب والاهتداء إلىٰ ما يطمئن الروح ويريح العقل ويُسكن النفس.

رابعًا: ضبط الأخلاق:

إن الإنسان الذي يؤمن إيمانا جازمًا بأن الله سيحاسبه علىٰ أقواله وأفعاله، وسيجازيه علىٰ نيته وقصده، فإنه سيضبط تصرفاته، ويحسب أعماله، ويعرف أين يضع خطواته، بينما يقل الوازع عند غير المؤمن فلا يحسب تصرفاته كثيرًا.

فإذا كان كثير من اللصوص والمجرمين يمارسون جرائمهم حتىٰ مع وجود القوانين في الدول القوية لأنهم قادرون علىٰ تجاوز القوانين بحيل كثيرة؛ فإن المؤمن الصادق يخاف الله أكثر من القانون، ويمتنع عن الظلم خشية من خالقه، ويُحسن إلىٰ الناس رغبة في التقرب إلىٰ ربّه ﷻ.

انظر وتلفّت حولك لترىٰ كيف يكون الإنسان طائشا مجرما سفّاكا حين يمتلك السلاح والقوة ولكن لا يمتلك الإيمان الصحيح. انظر إلىٰ آلة الحرب الغاشمة التي تسحق بنيرانها بيوت الضعفاء وتُشرّد الملايين، وتُيتّم الأطفال دون أدنىٰ ضمير.

ثم انظر إلىٰ من تعرفه من أهل الإيمان والصلاح والخشية، من المستنّين بسنة النبي ﷺ، والمستنيرين بنور هديه، المتبعين له، كيف تجدهم؟ كيف ترىٰ صدقهم وإحسانهم ونظافة أيديهم؟دعك ممن يدّعي الإيمان والصلاح ولا يكون في حقيقة أمره كذلك.

بل انظر إلىٰ نفسك، واسألها سؤالًا صادقًا: لو التزمت بهدي المصطفىٰ ﷺ، وأتيحت لي فرصة أن أنهب مالًا عظيما دون أن يراني أحد؛ فهل سأقوم بهذا النهب أم سأخاف الله؟أنت تعلم أن الجواب هو: ما دام أني متبع للنبي، مؤمن بربي، فلا يمكن أن أفعل ذلك.

حسنًا: والملحد؟! ما الذي سيمنعه؟

لو قلت: القانون فكثير منهم قادر علىٰ تجاوز القانون والاحتيال عليه.

ولو قلت: الخجل الاجتماعي فهو قادر علىٰ التستر والرياء.

ولو قلت: القيم الأخلاقية العامة فالسؤال هو: ما الذي يجعل هذه القِيَم صحيحة في نظره؟المجتمع؟ ما الذي يعطي المجتمع قيمة؟

وهكذا يفقد الملحد كل مرجعية لأنه قطع العلاقة بمن يُضفي علىٰ كل ذي لونٍ لونه، وعلىٰ كل حقيقة حقيقتَها ﷻ.

وتأمل معي: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾.